



بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٣٣/٦/٢٠ هـ

والصابرين على ما أصابهم

لقد قدر الله مقادير الخلائق وآجالهم، ونسخ آثارهم وأعمالهم، وقسم بينهم معاشهم وأموالهم، والإيمان بقضاء الله وقدره ركن من أركان الإيمان، والدنيا طافحة بالأنكاد والأكدار، مطبوعة على المشاق والأهوال، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ والنفس لا تزكو إلا بالتمحيص، والبلايا تُظهر الرجال، يقول ابن الجوزي: "من أراد أن تدوم له السلامة والعافية من غير بلاء فما عرف التكليف ولا أدرك التسليم"

عباد الله: ما الابتلاء إلا عكس المقاصد وخلاف الأمانى، يُبتلى المؤمن ليهدَّب لا ليعذَّب، فتن في السراء، ومحن في الضراء، ﴿وَبَلَوْنَا هُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ والمكروه قد يأتي بالمحبوب، والمرغوب قد يأتي بالمكروه، فلا تأمن أن توافيك المصرة من جانب المسرة، ولا تياس أن تأتيك المسرة من جانب المصرة، قال عز وجل: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ والصابرون مجزيون بخير الثواب، وأجورهم مضاعفة، ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

أيها المبتلى: ما منعك ربك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا امتحنك إلا ليصِّفك، يبتلى بالنعمة، وينعم بالبلاء، وما دام الأجل باقياً فالرزق آتياً.



وطريق الابتلاء معبر شاق، تعب فيه آدم، ورمي في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وألقي في بطن الحوت يونس، وقاسى الضر أيوب، وبيع بثمان بخس يوسف، وألقي في الجب إفكاً، وفي السجن ظلماً، وعالج أنواع الأذى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بالابتلاء يُرفع شأن الأخيار، ويعظم أجر الأبرار، يقول سعد بن أبي وقاص قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة» رواه البخاري.

وربنا وحده له الحمد، وإليه المشتكى، فإذا تكالبت عليك الأيام، وأغلقت في وجهك المسالك والدروب، فلا ترجُ إلا الله في رفع مصيبتك ودفع بليتك، وإذا ليلة اختلط ظلامها، وأرعى الليل سربال سترها، قلب وجهك في ظلمات الليل في السماء، وارفع أكف الضراعة، وناد الكريم أن يفرج كربك، ويسهل أمرك، وإذا قوي الرجاء، وجمع القلب في الدعاء لم يرد النداء، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ يقول الفضيل بن عياض: "لو يئست من الخلق لا تريد منهم شيئاً لأعطاك مولاك كل ما تريد" ومن فوّض أمره إلى مولاه حاز مناه، وأكثر من دعوة ذي النون: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يقول العلماء: ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه.

أيها المسلمون: أنتم محتاجون إلى الصبر عند فعل ما أمركم الله تعالى به، وعند ترك ما نهاكم الله عنه، وعند حلول الكرب ونزول البلاء، فإنه إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها وترادفت الضوائق وطال ليّلها وادلهمت الخطوب والنكبات واشتد أوارها فالصبر خير مطية يرتحلها العبد لتخطي تلك



والصابرين على ما أصابهم

جامع شيخ الإسلام ابن تيمية

---

الظلمات، فتشاغل بما هو أنفع لك من حصول ما فاتك، وتذكر كثرة نعم الله عليك، وادفع الحزن بالرضا بمحتوم القضاء، وما من شدة إلا ستهون، ولا تيأس وإن ادلهمت الخطوب ، وعظمت الكروب، واضرع إلى الله يزهو نحوك الفرج، وما تجرع كأس الصبر معتصم بالله إلا أتاه المخرج.  
اللهم.....



الحمد لله

فإن الله سبحانه جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وحصناً لا يهدم ولا يثلم، وقد أجمع العلماء على وجوبه؛ فقد أمر الله تعالى به عباده، فقال جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ والصبر ضرورة حياتية قبل أن يكون فريضة دينية شرعية، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر، فلا تحقق الآمال ولا تنجح المقاصد ولا يؤتي عمل أكله إلا بالصبر، فلولا الصبر ما حصد الزارع زرعه، وما جنى الغارس ثمره، ولا حصل الساعي قصده، والصابر لا يرى في الضيق إلا السعة، ولا في المرض إلا العافية، ولا في الفقر إلا الغنى، والمقدور لا حيلة في دفعه، وما لم يقدر لا حيلة في تحصيله، والرضا والتوكل يكتنفان المقدور، والله هو المتفرد بالاختيار والتدبير، وتدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وهو أرحم به منه بنفسه، يقول داود بن سليمان رحمه الله: "يستدل على تقوى المؤمن بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر فيما قد فات" قيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك. ويقول شريح رحمه الله: "ما أصيب عبد بمصيبة إلا كان له فيها ثلاث نعم: أنها لم تكن في دينه، وأنها لم تكن أعظم مما كانت، وأن الله رزقه الصبر عليها إذ صبر".

فوطن نفسك على المصائب قبل وقوعها، ليهن عليك وقوعها، ولا تجزع بالمصائب، فللبلايا أمد محدود عند الله، ولا تسخط بالمقال، فرب كلمة جرى بها اللسان هلك بها الإنسان، والمؤمن الحازم يثبت للعظام، ولا يتغير فؤاده ولا ينطق بالشكوى لسانه، وخفف المصاب على نفسك بوعد الأجر وتسهيل الأمر، لتذهب المحن بلا شكوى، وما زال العقلاء يظهرون التجلد عند المصاب لثلاث



والصابرين على ما أصابهم

إمام شيخ الإسلام ابن تيمية

---

يتحملوا مع النوائب شماتة الأعداء، وكتمان المصائب والأوجاع من شيم النبلاء، فصابر هجير  
البلاء، فما أسرع زواله، وغاية الأمر صبر أيام قلائل، وما هلك الهالكون إلا من نفاذ الجلد.